

شخصية المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلي آله وصحبه ومن ولاء
وبعد.

ففي هذه الأيام التي تتنازع الناس فيها تيارات فكرية مختلفة ومناهج للحياة متباينة يتلفت المسلم حوله. فيرى هناك في واقع الحياة ألوانا مختلفة. ونماذج متباينة للشخصيات. تتحارب وتتصارع وتتنازع فهناك الشخصية المادية النفعية التي تعيش في حدود الحس وتقيس الأشياء بمقدار ما تحققه لها من نفع مادي وأغلقت فكرها أمام رسالات السماء وهناك الشخصية المفتوحة التي أخذت من عالم المادة حاجة الجسم ومن عالم الروح غذاء روحها فحلقت في الحياة بجناحين.

وهناك بين هاتين الشخصيتين شخصيات كثيرة تقترب من الشخصية المادية أحيانا وتقترب من الشخصية المفتوحة أحيانا أخرى.

فأين موقع الشخصية الإسلامية بين تلك الشخصيات؟

هل هي تلك الشخصية العزوفة عن الدنيا المنتكرة لها المعرضة عنها تحيا عالة علي غيرها؟ لا يمكن أن تكون كذلك وقد قال تعالى: ﴿وابغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾^(١) (القصص: ٧٧).

أم هي الشخصية المتكاملة علي حطام هذه الحياة الفاني وعرضها الزائل؟ لا يمكن أن تكون كذلك أيضا. وقد قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ (القصص: ٦٠).

فما هي شخصية المسلم؟

لقد رسم الإسلام صورة كريمة وضاءة واضحة المعالم لشخصية المسلم في الرحي بقسميه القرآني والنبوي فلا نحتاج معها إلى ما نكمل به تلك الصورة أو نوضح به خطوطها وملامحها من غير هديها.

(١) وقال: لأن يأخذ أحدكم أحبله فأني بهزمة من حطب على ظهره فيبيها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه رواه البخاري.

ولقد نجح الإسلام في صقل النفس البشرية أكمل نجاح وأتمه وأبرز تلك الصورة الكريمة الرضاءة في واقع الحياة فلم تبق مثالا أفلاطونيا لا حقيقية له في عالم الحس.

وعندنا نماذج إنسانيه لا يحصيها عد نري فيها بوضوح ملامح الشخصية المسلمة برزت واقعا حياً يمشي علي قدمين في أكمل وأتم ما رسمه الوحي بقسميه في شخصية المصطفى ﷺ أولاً.

وقفي علي أثره في كل زمان ومكان جم غفير اشتهر منهم من اشتهر واستر منهم من استر رغبة في ازدياد الفضل وبعدا عن شهوة النفس.

وبحسبنا اليوم أن نرسم الخطوط العريضة التي توضح ملامح الشخصية المسلمة تاركين إكمال الصورة. لأن ذلك يتطلب مكانا أفسح.

وسأتكلم عن المسلم من نواح أربعة.

هي جسمه، علمه، خلقه، إيمانه وغايته. وعلي نفس هذا الترتيب.

(أ) جسمه

المسلم حريص علي عنايته بجسمه عناية كاملة قال ﷺ ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص علي ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن فاتك شيء فلا تقل لو كان كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾ رواه مسلم. كتاب القدر.

ورشح الله شخصاً للملك وركاه لأنه أوتي بسطة في العلم والجسم. قال تعالى: ﴿قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال. قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ (البقرة: ٢٤٧)

ويقر الإسلام مقالة ابنة شعيب عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام فيرويهما لنا رب العزة قائلاً: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (القصص: ٢٦)

وهكذا تلتقي هذه النصوص في الحض علي القوة الجسيمة والثناء عليها.

ويضع الإسلام لقوة الجسم منهاجا مفصلا فينهايها مؤكدا عن كل ما يعترض هذه الغاية فيحرم الخمر والزنا وضررها معلوم. وكذلك يحرم كل ما يضر بالبدن من حشيش وأفيون وغير ذلك ويوصي بالاعتدال في الطعام والشراب يقول تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١). ويقول ﷺ «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكيات يقمن صلبه. فإن كان لا محالة فثلث لطعامه. وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١)

ويأمر الإسلام بالصوم ومنافعه للجسد كثيرة غير أنه ينهي عنه إذا أضر بالبدن شأنه في ذلك شأن سائر العبادات ينهي عن الإفراط فيها افراطا يضر بالبدن. قال ﷺ «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» وهذا عبد الله بن عمرو قد أفرط في العبادة إفراطا أضر ببدنه ينصحه رسول الله ﷺ بالاعتدال في عبادته.

عن عبد الله بن عمرو قال دخل علي رسول الله ﷺ . فقال « ألم أخبرك أنك تقوم الليل. وتصوم النهار؟. قلت: بلي . قال: فلا تفعل قم ونم. وصم وأفطر. فإن لجسدك عليك حقا. وإن لعينك عليك حقا وإن لزورك عليك حق. وإن لزوجك عليك حقا» (٢) واللفظ له.

ويوصي الإسلام بالرياضة البدنية فنزى النبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه. يصارع ركابة. ويسابق عائشة وفي الفقه الإسلامي باب كبير للسبق والرمي. ويعني الإسلام بنظافة الجسم وتجميله. فالاستحمام بعد قضاء الحاجة والاعتدال في مناسبات عديدة من الجنابة وغيرها.

وفي فقه الشافعية الاغتسالات المسنونة سبعة عشر غسلا. من أهمها غسل الجمعة الذي يتكرر كل سبعة أيام. وفيه يقول ﷺ «غسل يوم الجمعة واجب علي كل محتلم. وسواك وتمس من الطيب ما قدر عليه» (٣).

كما يأمر الإسلام بقص الظفر وحلق الإبط والعانة ويذكر الطب أن ترك هذه

(١) رواه الترمذى. وحسنه. وابن ماجه. وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم .

(٣) رواه مسلم وغيره .

الأشياء يضر بالبدن حيث أن تركها يجعلها بؤرا خبيثة لكثير من الأمراض
يعني الإسلام بالأسنان عناية خاصة قبل أن تتبه لذلك المدينيات الحديثه فيوصي
بالسواك. يقول الرسول الكريم ﷺ لولا أن أشق علي أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل
صلاة.

وهناك الكثير من الأمراض تجمد في الأنف مرتعا خصبا وبين أصابع اليدين
والقدمين والوضوء خير وقاية من هذه الأمراض حيث تكرار المضمضة والاستنشاق
وغسل الوجه واليدين ومسح الرأس وغسل القدمين.

قال تعالي: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلي الصلاة فاضلوا وجوهكم وأيديكم
إلي المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلي الكعبين ﴾ (المائدة: ٦)..

أخي المسلم فهل هناك عناية بالجلد أشد من أن تجعل الإرشادات الصحية
والطب الوقائي قرآنا يتلي في المحارب. وعبادة يتقرب بها إلي الله تعالي؟

ولقد كان الرسول ﷺ وهو المثل الاعلي لشخصية المسلم أنظف الناس ثوبا
وأطيبهم ريحا وكان يعني بشعره عناية فائقة فيرجله ويدهنه حتي كان يري وميض المسك
في مفارقه.

ويوصي بنظافة الثوب والبدن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ لا
يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال من كبر. فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنا. فقال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس (١)

(ب) علمه

وأما العلم فأول واجبات الشخصية المسلمة بعد حاجات الجسد. لان كل فضل
يتفرع عنه ومن هنا افتتح القرآن الكريم بالدعوة إليه فقال تعالي: ﴿اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان من علق﴾ (المرن: ٢، ١). وأقسم تعالي بالقلم أداة العلم تبيها علي
شرف العلم فقال عز من قائل: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١) ويهتم الرسول
ﷺ بنشر العلم فيجعل فداء الأسري المتعلمين يوم بدر أن يعلم كل واحد منهم

(١) رواه مسلم والترمذي. وبطر الحق: دمه رده وغمط الناس: هو احتقارهم.

عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ويهدد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قوما نالوا من العلم حظا. ولهم جيران جفاة. من أهل البادية لاحظ لهم من التعليم يهددهم أن لم يعلموهم. ويهدد الجاهلين أن لم يطلبوا العلم فيخطب يوما مشنيا علي طوائف من المسلمين خيرا ثم يقول: « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم. وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون». والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة (١) وهكذا يسبق الإسلام أمم العالم جميعا إلي محو الأمية الفكرية. فضلا عن الأمية الخطية التي تتفاخر الأمم بمحوها.

يا قوم رسول كريم لم يترك له الأعداء فرصة للراحة والاستقرار يهدد بإعلان الحرب علي المتقاعدين عن طلب العلم وعلي القاعدين عن تعليم الجاهلين و يجعل العلم طريقا للجنة. صنوا الصلاة والزكاة ومجالس العلم محلا لتنزل البركة والرحمة فيقول: « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلي الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفثهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده(٢).

ويجعل ﷺ من النماذج العالية. التي تتعلق بها النفوس الكريمة رجلا آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها. يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علي هلكته في الحق. ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (٣) ويجعل نشر العلم معينا للخير لا ينضب ولا يزال يمد صاحبه بسيل من الحسنات في حياته وبعد مماته فيقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث. صدقة جارية. أو علم ينتفع به أو ولد

(١) رواه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزي عن أبيه

عن جده. (٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه الشيخان البخاري ومسلم. والمراد بالحسد هنا الغبطة. وهي تمنى مثل ما للغير.

صالح يدعو له .(١). ويقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »(٢) .

من كل ما تقدم نري عناية الإسلام بالعلم والتعليم واضحة جلية ونري غضب الرسول علي الجاهلين والمنصرفين عن العلم مقترنا بغضبه علي العالمين المنصرفين عن تعليم الجاهلين . .

فلا يحق لمسلم بعد هذا أن يقعد عن العلم والتعليم . ذلك أن العلم إن طلبه غير المسلمين لدينهم فقط . فنحن نطلبه لديتنا ودنيانا . نطلبه لنذلل به هذه الحياة . ولننخر ثوابه بعد المات .

أيا كان هذا العلم من تفسير وحديث وفقه وتوحيد . وهندسة . وصيدلية وطب فالإسلام يحث علي طلب العلم النافع بجميع صنوفه وأشكاله وألوانه فقط يجعل العلوم الدينيه أفضل من غيرها . ومقدمة عليها . وفرضا علي كل مسلم ومسلمة . بجانب ما يعلم من علوم مختلفة يتخصص فيها فلا يقبل من مسلم تخصص في الطب مثلا . أن يجهل دينه محتجا بأنه متخصص في فنه . فالمسلم مسلم قبل أن يكون طبييا أو مهندسا ، ومسلم بعد أن يكون طبييا ومهندسا عندما يلقي ربه ويخلف دنياه ومهنته .

وما عليك أخي المسلم وقد تخصصت في فن من الفنون أو علم من العلوم أن تخصص من يومك ساعة تتعرف فيها دينك وتكمل بها شخصيتك المسلمه فتسعد مرتين مرة في دنياك ومرة في أخراك .

وقديما كان الأزهر جامعة الإسلام الأولي يتسع صدره لجميع العلوم ، والفنون وكان أساطين العلوم المختلفة من طب ورياضة وجبر وغير ذلك .

كانوا قبل ذلك ومعه فقهاء ومحدثين فالشيخ ابن سينا أنه علماء عصره في الطب هو الشيخ ابن سينا صاحب الإرشادات والتنبيهات .

والغزالي الفيلسوف هو الغزالي الصوفي .

ونأمل في يومنا هذا وقد عادت إلى رحاب الأزهر ألوان المعارف المختلفة من

(١) - رواه مسلم وغيره .

(٢) - رواه البخارى ومسلم .

طب وهندسة وصيدلة وغير ذلك. لتدرس بجانب التفسير والحديث والفقہ والتوحيد. وبذلك يكمل الأزهر كجامعة.

أقول: نأمل أن نجد في القريب إن شاء الله بجميع دور العلم في العالم الإسلامي علوم الدين تدرس بجانب علوم الدنيا. لتثقف العقل ونهذب الروح معا. ولنحصل علي الشخصية المسلمة المثقفة المتدينة وليكثر فينا أمثال ابن سينا والغزالي. والفخر الرازي.

أما أن يفسح الأزهر صدره لألوان المعارف والعلوم بجانب الدراسات الإسلامية التي أنشئ من أجلها .

ولا تفسح الجامعات المتخصصة في العلوم المختلفه صدرها للدراسات الإسلامية بجانب ما يدرس بها من معارف وفنون .

أما أن يحدث ذلك فهذا مالا يرضاه الإسلام ولا يقره القرآن. وسنة خير الأنام ﷺ. للمسلم والمسلمة لا يرضي الإسلام للمسلم أن يقتطع عن قرآنه وسنة نبيه ﷺ بحجة التخصص. وعصر التخصص فالتخصص إنما يكون بعد قدر مشترك من الثقافة للأمة جميعا ولا تكفي هذه الجرعات في التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي للتزود من القرآن الكريم وسنة نبينا العظيم.

بل الواجب أن تكون الدراسات الإسلامية جنبا إلي جنب في الجامعات كلها في العالم الإسلامي في جميع التخصصات. وليس في ذلك أي حيف علي التخصص.. وإنما ذلك يساعد علي النبوغ والتخصص.

أتعرف إلي قرآنك. وتتجيب إلي ربك الخالق الرازق، وتعيش في رحاب السنة. ثم لا تمنح وتنفع. ويبارك لك في وقتك.

(ح) خلقه

إذا تحدثنا عن خلق المسلم يتشعب بنا الحديث أيما تشعب وكيف لا ؟ وقد سئلت أمنا السيدة عائشة رضوان الله عليها عن خلق رسول الله ﷺ وهو النموذج الكامل للشخصية الإسلامية فقالت: «كان خلقه القرآن»

ولكننا سنجزئ الحديث فتحدث عن ثلاث صفات تقل بين المسلمين في يوم الناس هذا راجين أن يهتم بها المسلمون. ألا وهي ضميرة وذوقه وشجاعته الأدبية.

فأما ضميره

فالمسلم صاحب ضمير حي يقظ يحاسبه علي الصغير والكبير والنقيير والقطمير هذا أبو حنيفة قد بعث بمتاع إلي حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة. وأعلمه أن في ثوب منه عيبا وطلب منه أن يبينه للناس. فباع حفص المتاع ونسي أن يبين العيب واستوفى ثمنه كاملا لثوب غير كامل. فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشتري. ولكنه لم يهتد إلي الرجل. فأبى أبو حنيفة إلا فصلا من شريكه. بل رفض أن يضيف الثمن إلي حرّ ماله. وتصدق به كاملا. (١).

ويروي أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان، بعضها قيمته أربعمائة والبعض الآخر قيمته مائتان، فذهب إلي الصلاة وخلف ابن أخته في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين. فاستحسنها ورضيها واشتراها فمضي بها وهي علي يديه. فاستقبله يونس فعرف حلته. فقال للأعرابي بكم اشتريت؟

قال: بأربعمائة. فقال له يونس: إنها لا تساوي أكثر من مائتين. فارجع حتي تردّها. فقال الأعرابي: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة. وأنا ارتضيتها فقال له يونس: أنصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها. ثم رده إلي الدكان ورد عليه مائتي درهم. وخاصم ابن أخيه في ذلك. وقال: أما استحييت أما اتقيت الله؟. تبيع مثل الثمن. وترك النصح للمسلمين.

(١) من كتاب أبي حنيفة. بطل الحرية والتسامح في الإسلام. للأستاذ عبد الحليم الجندی ص ١٥٨.

فقال له : والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال : فهلا رضيت له بما ترضاه
لنفسك؟

وروي عن محمد بن المنكدر أن غلامه باع لأعرابي في غيبته شقة من
الحمسيات بعشره . فلم يزل يطلب ذلك الأعرابي طول النهار حتي وجده فقال له
إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة . فقال له المشتري : يا هذا قد
رضيت فقال له ابن المنكدر : وإن رضيت فإننا لا نرضي لك إلا ما نرضاه لأنفسنا
ورد عليه خمسة . (١) .

ومفتاح هذه الحوادث الثلاثة هو قول يونس بن عبيد لابن أخيه :

أما استحييت أما اتقيت الله؟

نعم إنه الضمير الحي اليقظ وأنها تقوي الله . ذلك ما يثيرة الإسلام في النفس
الإنسانية بقوة حين يمتزج بها . وتخالطها بشاشته .

ورحم الله ما عزا والغامديه حين جاء كل منهما إلي رسول الله ﷺ معترفا
بين يديه بجريمة الزنا، وطالبا التطهير . وما هو التطهير إنه الرجم بالحجارة حتي
الموت .

هذا وإن وراء هذه النماذج التي ذكرناها لعشرات ومئات من أمثالها في كل
منحني وكل اتجاه . وحسبنا منها هذه المثل القليلة . لتشير إلي الآفاق التي تحلق فيها
الشخصية الإسلامية . وتستعلی فيها علي جميع الملابس والضرورات علي حب
النفس والحياة وحب المال والجاه .

« وأما ذوقه »

فقد نهج الإسلام نهجا حكيما ليطلع المسلمين علي سلامة الذوق . ودقة
الإحساس والمحافظة علي شعور الغير . ونقرأ الكثير من ذلك في كتاب الله وسنة
رسول الله ﷺ من ذلك أنه لما تزوج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش أولم
لأصحابه وليمة فلما طعموا انصرف بعضهم وتخلف آخرون . وبذل عليه السلام
عدة محاولات ليخرجوا . واستحيا أن يصارحهم بهذه الرغبة . ولكنهم لم يخرجوا

(١) عن كتاب « الرسالة الخالدة » للأستاذ عبد الرحمن عزام .

أيضا وأخيرا وبعد مضي جانب كبير من الليل . خرجوا متعاقبين . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه . ولكن إذا دعيتم فادخلوا . فإذا طعمتمهم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ﴾ (الأحزاب: ٥٣) .

وبذلك قرر الإسلام مبدءا عاما من مبادئ الذوق السليم . ألا وهو ألا يشغل الزائر علي المزور بطول المكث عنده طولا يتضرر به .

ويقرر الإسلام مبدءا الضيافة ويضع له أسسا سليمة تحول بينه وبين الانحراف عن غايته . فيجعل إكرام الضيف ثمرة للإيمان بالله واليوم الآخر . والضيافة ثلاثة أيام لمن يقصد الزيارة . ويعطي الضيف المجتار راد يوم وليلة وما زاد عن ذلك فهو صدقة .

وينهي الإسلام الضيف أن يزيد عن ذلك حتي لا يوقع صاحب البيت في حرج قد يدفعه إلي إيذاء ضيفه .

عن أبي شريح خُوَيْلِد بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث أيام . فما كان بعد ذلك فهو صدقة . ولا يحل له أن يثوي عنده حتي يخرجه (١) .

وينعي الإسلام علي هؤلاء المفرمين بالجدل بالحق والباطل . هؤلاء الذين يجعلون من أنفسهم حزب معارضة في جميع الظروف والأحوال والملايسات لا لشيء إلا للجدل وللجدل فحسب .

إذا حدثت أحدهم بأن الشمس تشرق من المشرق . سرعان ما ينبري مفندا رأيك زاعما مؤكدا أنها تشرق من المغرب . فيجرح شعورك ويؤذي إحساسك . ويا عجبا لهؤلاء لا يرضيهم أن يكون بالمجلس صامت . فتراهم يخرجون بالأسئلة حتي يجروه إلي جدلهم ولجاجهم .

إلي هؤلاء وأمثالهم ممن يطلقون العنان لأنفسهن في التحدث بالحق وبالباطل . فيقعون في الكذب ولا يبالون . حرصا علي الانتصار في الجدل بالحق . والباطل . أسوق حديث أبي أمامة رضي الله عنه . قال :

(١) رواه مالك والبخاري . ومسلم . وأبو داود . والترمذي . وابن ماجه .

قال رسول الله ﷺ: « أنا رعيم ببيت في رِبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا. وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلي الجنة لمن حَسَنَ خُلُقَه » (١).

وكذلك يكره الإسلام للمسلم أن يكون ثرثارا يكثر الكلام بلا داع وينعي علي هؤلاء الذين يتصدرون المجالس محاولين الاستيلاء علي دفة الحديث. لا عن علم علموه فينشروه. ولكن حبا في الكلام لشهوة النفس. يكرة الإسلام هذا. ويوجه المسلم إلي الصمت الكريم إلا عن حق يذيعه أو علم ينشره.

يقول تعالي: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾: (النساء: ١١٤). ويقول ﷺ لأبي ذر: « يا أبا ذر ألا أدلك علي خصلتين هما أخف علي الظهر. وأنقل علي الميزان من غيرهما؟ » فيقول أبو ذر بلي يا رسول الله. فيقول له ﷺ: « عليك بحسن الخلق وطول الصمت فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما » (٢).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن أحببكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقا. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقا. الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (٣) والثرثار: هو الكثير الكلام تكلفا والتشديق: هو المتكلم بملء شدة تفاصحا وتعظيما لكلامه. والمتفيهق: المتكبر.

هذا وتبلغ التعاليم الإسلامية بالشخصية الإسلامية الذروه في الذوق ورقة الإحساس. فتطلب من المسلم أن يكون هاشا باشا طلق الوجه. خدوما لإخوانه لا يحتقر من المعروف شيئا مهما صغرا.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا تحقرن من

(١) رواه أبو داود. واللفظ له. وابن ماجه والترمذي. وقال حديث حسن. هذا وريضُ الجنة: هو ما حولها. خارجا عنها. تشبيها له بالأبنية التي تكون حول المدن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني. والبخاري. وأبو يعلى بإسناد جيد. رواه ثقات واللفظ له.

(٣) رواه أحمد. ورواه رواة الصحيح. والطبراني. وابن حبان في صحيحه.

المعروف شيئا. ولو أن تلقي أخاك بوجه طليق (١).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ. وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ. وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ. وَإِمَامَتُكَ الْأَذْيِ وَالشُّوكِ وَالْعِظْمِ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ. وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكِ فِي دَلُوكِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ: (٢) .

وعن أبي جَرِيٍّ الهَجْمِيِّ رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا يتفنعنا الله به فقال: لا تحقرن من المعروف شيئا. ولو أن تهب صلة الحبل ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقى ولو أن تلق أخاك المسلم ووجهك بسط إليه ولو أن تونس الوحشان بنفسك. ولو أن تهب الشَّعْ (٣).

« شجاعته الأديبه »

يبلغ المسلم في الشجاعة الأديبه الغاية القصوي. ذلك أنه يؤمن أن الأمة لو اجتمعت علي أن تضره شيء فلن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه. وإن اجتمعت علي أن تنفعه شيء فلن تنفعه إلا بشيء قد كتبه الله له. كما ورد في حديث رسول الله ﷺ ويؤمن كذلك بقول الرسول الكريم ﷺ: « وقد سنل أي الجهاد أفضل فقال: « كلمة حق عند سلطان جائر » (٤)

ويحسبنا نموذجا للشخصية الإسلامية شخصية ظهرت قبيل عصر المماليك. وهو عصر يعده الكثير من المؤرخين من عصور التأخر والانحطاط. ومع ذلك نري فيه الشخصية الإسلامية في أكمل صورها في شخصية العز بن عبد السلام.

ففي أيام الدوله الأيوبيه « لما والي الملك إسماعيل الإفرنج أيام الحروب الصليبيه وسلم لهم صيدا وغيرها من الحصون. لينجدوه علي الملك نجم الدين أيوب. أنكر عليه عز الدين بن عبد السلام هذه الفعله. فغضب عليه وعزله واعتقله

(١) - رواه مسلم.

(٢) - رواه الترمذى وحسنه. وابن حبان في صحيحه.

(٣) - رواه النسائي. والشع: النعل.

(٤) - رواه النسائي بإسناد صحيح.

ثم بعث إليه يعده ويمنيه فقال له رسول السلطان: تعاد إليك مناصبك وزيادة وما عليك إلا أن تنكسر للسلطان» .

فما كان جواب الشيخ إلا أن قال: « والله ما أرضاه أن يقبل يدي . يا قوم أنتم في واد وأنا في واد» (١) .

ويسجل المؤرخون للشيخ قصة أخرى أدل علي شجاعة المسلم الأديبه . وقف فيها الشيخ منفردا . أمام نائب السلطان وأمرائه . وكانوا يقتلون النفس . وهم يلهون ويلعبون .

وقف السلطان العز بن عبد السلام أمام نائب السلطنة ومن حوله يستدلهم ويضعهم في موضع العيب . بل يبيعهم كما يباع العبد . وينفق ثمنهم في مصالح المسلمين يقول المؤرخون:

« إن الملك الصالح نجم الدين أيوب . سلطان مصر أسرف في شراء الممالك من بيت المال . وأخذ بعد ذلك يعتقهم . ويجعل منهم أمراء يتسلطون علي رقاب الناس ولم يصح عتقهم عند الشيخ . فأفتي بأنهم لا يزالون ملكا لبيت المال . وأنهم لا بد أن يباعوا ويوضع ثمنهم في بيت المال . وكان من بين هؤلاء الأمراء نائب السلطان واجتمع الأمراء وطلبوا من الشيخ أن يحدثهم في هذا الأمر العجيب .

فقال: « لا رأي عندي ولا حكم إلا أن نعقد لكم مجلسا ينادي عليكم فيه للبيع ويدخل ثمنكم إلي بيت المال . ثم يكون عتقكم بطريق شرعي بعد ذلك ورفع الأمراء الأمر إلي السلطان .

فبعث السلطان إلى الشيخ من يطلب إليه أن يرجع عن فتواه . فلم يرجع فأنكر عليه السلطان أن يدخل في هذا الأمر الذي ليس من شأنه فغضب الشيخ وأخرج متاعه اليسير . وسار به يريد أن يعود إلي وطنه بالشام وتسامع الناس أن سلطان العلماء قد غضب علي البلد وعلي سلطانها .

فغضب الناس لغضب الشيخ . ولحقوا به . ولما وصل الأمر للسلطان . وعلم بغضب الشعب . أسرع السلطان فركب بنفسه . وسار حتي لحق بالشيخ . وأخذ

(١) كتاب أبو حنيفة للأستاذ الجندي .

يلطفه ويتراضه حتي قبل أن يرجع إلي بيته . علي شرط أن ينزل الامراء علي رايه فقبل السلطان . وعقد الشيخ لهم سوقا . ونودي عليهم فيه للبيع . واحدا بعد واحد وغالي في اثمانهم وقبضها بنفسه . وأنفقها في مصالح المسلمين وكان يوما شهودا وأمرأ عجبا .

« إيمانه وغايته »

أخص خصائص الشخصية الإسلامية الإيمان الحي العميق . بالله عز وجل ربا قادرا بيده مقاليد السموات والأرض . وبيده وحده النفع والضرر والإحياء والإماتة قال تعالي : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتميز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علي كل شيء قدير ﴾ (آل عمران: ٢٦) .

والمسلم يؤمن بالبعث أشد الإيمان . ويراه أمرا واقعا وحقيقة لا مناص منها ويمعجب أشد العجب ممن يري النشأة الأولى في هذه الحياة . وينكر النشأة الآخرة في الحياة الثانية .

ويواجه المسلم المنكرين للبعث بلسان الحال أو المقال . بما واجه الله به هؤلاء الجاحدين . حيث يقول تعالي : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ . (يس: ٧٨ - ٨٣) .

ويؤمن المسلم كذلك بجميع أنبياء الله تعالي ورسله وملائكته وكتبه قال تعالي : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

« وأما غاية المسلم »

فهي العمل للدارين الدنيا والآخرة بروح وثابه وهمة لا تعرف الكلال ولا الملل ويعتبر الحياتين الدنيوية والآخرية وحده متكامله . الدنيا فيها عمر للآخرة ولا يعرف شيئا لقيصر مع الله . بل الأمر كله لله في الدنيا والآخرة .

ألا وإن المسلم أقوى ما يكون وأشجع ما يكون إذا فجرنا يتبوع الإيمان في نفسه

وإن المسلم أنجح شخص في الوجود إذا ابتغى بعمله وجه ربه. وإن قوة في الأرض كائنة ما كانت لاتستطيع أن تنهض لمواجهة عبدا ربانيا وإنسانا روحيا.

وإن التاريخ الإسلامي ليحدثنا عن عجائب وغرائب في هذه المضمار لا يتسع المقام لذكرها. ذلك أن المؤمن وقد فجر ينبوع الإيمان في قلبه. وأشرق نوره في نفسه قد اتصل بسر الوجود يستمد منه قوت. ويستضيء به طريقه فهو إنسان قد اتصلت بالله أسبابه ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق: ٢ ، ٣)

﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ (الطلاق: ٤).

فاتجه أيها المسلم إلي طلب رضوان ربك. واسع في عمارة دنيائك. في حدود هدي قرآنك وسنة نبيك ﷺ. وامثل قول مولاك ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (القصص: ٧٧) وختاما أخي المسلم.

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف: ١١٠).

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.